العدد الثاني عشر
كانون الاول (ديسمبر)
السنة الثامنة

No. 12 Dec.
8ème année

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الإنسان وأزمة الجزائر

بقلم الدكتور عبدالله عبدالدائم

نودع عاما ونستقبل عاما ، والثورة الجزائرية ماضية في سبيلها . تزداد لهيبا يوما بعد يوم وتجأر أمام العالم كله ، مؤمنة بحقها ، مؤمنة بالنصر .

والحق ان التاريخ الحديث لم يعرف مأساة استعمارية كمأساة الجزائر ، كما ان الانسان الحديث لم يواجه أزمة انسانية تهزه في الاعماق وتتهمه وتتحداه ، كأزمة الجزائر العربية .

أجل في قلب الجزائر ، منذ بدء احتلالها عام ١٨٣٠ ، ومنذ ايام القائد « بوجو » وحملاته الوحشية وطريقته الرومانية في الاستعمار ، أخذ الاستعمار أبشع معانيه واتضحت معالمه يوما بعد يوم وارتسمت سياسته وفلسفته في أقبح صورها وأشكالها .

لقد حق لكاتب فرنسي كسارتر ان يعتبر الجزائر أوضح مثال وأبلغه عن النظام الاستعماري ، بل حق له أن يقرر أن أول من عرف الاستعمار وفضح مقاصده ، لم يكن لينين ، بل كان الفرنسي « جول فيري Jules Ferry الذي نطق باسم الاستعمار الفرنسي الجديد في الجزائر في بدء احتلالها فقال :

« ان لفرنسا التي استفرغت كثيرا من رؤوس الاموال وأصدرتها الى الخارج بكميات كبيرة ، مصلحة في أن تنظر الى المسألة الاستعمارية من هذه الزاوية : انها قضية الاسواق بالنسبة لبلاد كبلادنا ، مدعوة بسبب طبيعتها نفسها وصناعتها ، الى ان تصدر صادرات عظيمة .. فحيث السيادة السياسية تكون سيادة المنتجات السياسة الاقتصادية » (١)

وتمت السياسة التي رسمها أمثال « جول فيري » ، وتم افقار الاهالي الجزائريين من أجل فرنسا ، فسلبوا أراضيهم ، وصح قول سارتر أيضا : « ان تاريخ الجزائر هو تجميع الاملاك العقارية الاوروبية تجميعا تدريجيا على حساب الاملاك الجزائرية » (٢) ، ولم يترك هذا الاستعمار البغيض للجزائريين الا بابا واحدا مفتوحا هو ان يموتوا جوعا . بينما أخذت الشركات الاستعمارية الفرنسية في النمو والازدهار يوما بعد يوم في بلاد الجزائر ، تستولي على أراضيها وتحل زراعة الكرمة وصناعة الخمور محل زراعة القمح ، وتتجر بالحمضيات وتسلب المواشي وترتع في المناطق الخصبة ، طاردة السكان الاصليين يوما بعد يوم شطر الجنوب الصحراوي .

يضاف الى هذا كله ما قام به المستعمرون من محاولات دائبة متصلة لطمس معالم الحياة القومية العربية في الجزائر ، يوم اعتبروا اللغة العربية لغة أجنبية منذ عام ١٨٣٠ ، أي منذ بدء الاحتلال ، ويوم صادروا دين المواطنين لكي يبقوهم في التجزئة والتفتت ، وحين اختاروا رجال الدين الاسلامي من بين عملائهم ، ويوم اضطهدوا الجزائري وضربوا عليه الذلة والمسكنة ، وسلقوه بالسباب ، ونظموا استغلاله ووسائل املاقه أيما تنظيم : فحشروه في أرض غير منتجة ، وقسروه على العمل برواتب هزيلة مضحكة . لقد حاولوا ، بكلمة واحدة ، أن يهدموا الجزائر من أجل فرنسا ، وقاموا بهذا الهدم على أبشع طريقة ولم يوفروا فيه أي وسيلة مهما تكن مجانبة لابسط مبادىء الانسانية .

وحملت الكرامة العربية السلاح ، وثار أبناء الجزائر ثورتهم المشرفة ، ثاروا حين لم يجدوا خيرا من الاسنة مركبا ، وآلوا أن يعيشوا كراما أو يموتوا كراما . ثاروا ثورة فريدة في التاريخ : انهم شعب أعزل فقير مضطهد ، يريد ان يقف في وجه قوة استعمارية جبارة ، تدعمها أسلحة حلف الاطلسي . ولكنهم لم يأبهوا لهذا كله : لقد

(١) و (٢) من كتاب « عارنا في الجزائر » ترجمة سهيل وعائدة ادريس ، نشر دار الاداب

كانت الكلمة التي يعبر عنها موقفهم البطولي الجبار ، انهم إن لم يملكوا شيئا ، فهم يملكون ان يقدموا أرواحهم فداء لكرامة الانسان الممتهنة ، ويملكون أن يقفوا وحدهم في العالم لينادوا في وجه الضمير الانساني اننا نتهمك ولكننا لا ننتظرك ، وأننا سنفهمك ، باقدامنا على الفناء ، معنى الإنسانية القتيل التي يسفحها الفرنسيون دون ان تثور لك فيها ثائرة .

ويقبل الذي فقد كل شيء ، أرضه وكرامته ووجوده ، على المعركة ، يحمل معه كل شيء : يحمل الايمان بحقه ، ويحمل الايمان بكرامة الانسان ، ويحمل ثقة لا تتزعزع في أن يخط من جديد ثورة الانسان على اضطهاد الانسان للانسان ، وتوكيده للقيم الانسانية المتردية ، وتحقيق النصر لهذه القيم .

وتمضي الايام بل السنوات ، وصاحب الحق صامد ، وحامل الرسالة ثابت كالطود ، لا تزعزعه صعوبات الطريق ، ولا تفقده أمله . ويربح المؤمن معركته شيئا بعد شيء ، ويحفر النصر بالدماء والدموع ، فاذا به يقلب ايمانه إلى ثورة منظمة قوية ، واذا به يرهب نصف مليون جندي فرنسي بأسلحتهم الحديثة وبوسائلهم الوحشية . على ان اهم ما في هذا النصر الذي أخذ يشق طريقه ، ما تم له من ايقاظ الضمير العالمي يوما بعد يوم ، وما يُسِّر له من تحريك النفوس الحرة في العالم ، لتشاركه ثورته وتثور لاضطهاده . انه نجح في المهمة الاساسية الكبرى : وهي أن يضع كل فرد في العالم أمام مسؤولياته كانسان ، وان يتهم الانسانية الساكتة على الظلم ، ليحفزها على تجديد قيمها والانقلاب على ذاتها .

ويكفي لندرك عمق الهزة الوجدانية التي اخذت ثورة الجزائر تحدثها في الضمير العالمي أن نذكر بالمواقف الاخيرة لعدد من مفكري فرنسا وكتابها ، وان نقرأ العديد من الكتب والكلمات التي أخذت تنطلق ثرةً غزيرة من أقلام الفرنسيين الاحرار ، يتهمون فيها أنفسهم ، ويتهمون فيها أمتهم ، بل يحقرون فيها انتسابهم الى تلك الامة ، بعد ان لطخت جبينها بالعار . حسبنا ان نعود بالذكرى الى تلك الصيحات التي انطلقت من أفواه بعض الكتاب الاحرار في فرنسا حين قالوا بملء فيهم : انهم قذرون ، وانهم يشعرون بالخزي والعار لانتسابهم الى امة تموت فيها القيم والمبادىء عن طريق ما ترتكبه في الجزائر من آثام . يكفي أن نسمع صيحة كصيحة سارتر : « اننا مريضون ، مريضون جدا . ان فرنسا المحمومة الراكعة ، المأخوذة بأحلام مجدها القديمة وباستشعار خجلها ، تتخبط وسط كابوس مبهم لا تستطيع التخلص منه ولا تستطيع سبر غوره . فاما أن نرى بوضوح ، واما أن ننفجر » .

يكفي أن ننقل ما رواه أحد القسس المجندين العائدين من الجزائر حين نقل تلك الكلمات التي تتردد على شفاه كثيرين من أفراد الجيش الفرنسي هناك : « انه من المخجل ان يكون الانسان فرنسيا » ، بل حين روى شكوكهم في قيمة الحضارة التي يمثلونها ، عندما شهدوا ما شهدوا من روائع التعذيب والاضطهاد (١)

يكفي ان نستمع لفرنسوا مورياك حين اعلن انه سينقطع عن كتابة الرواية لان فظاعة عالم الواقع تطرده من ميدان التأليف الخيالي . وحين اضاف انه لا ينتظر بعد هذا غير الموت ، لان فرنسا التي يرقبها منذ سنوات، ولا سيما في الجزائر ، قد ماتت ، وانها الان تموت ميتات متصلة مستمرة في كل لون من ألوان التعذيب التي تخضع لها الجزائريين المسلمين ، لانها تفقد في كل لحظة شرفها .

ان كتابا ككتاب جانسون عن الجزائر ، أو ككتاب الاستجواب لأليغ ، أو ككتاب « عارنا في الجزائر » لسارتر ، أو ككتاب « دفاعا عن جميلة » لأرنو وفيرجيس، أو ككتاب « مجندون يشهدون » الذي جمع وثائقه عدد من الكتاب الفرنسيين ، أو كقصة « ملازم في الجزائر » لشرايبر ، أو ككتاب « ضد التعذيب » لبيير هنري سيمون ، أو لكثير غيرها من الكتب ، نماذج بينة على ما أثاره موقف الجزائر من عواصف في العقول والنفوس ، وما أحدثه من نقمة وأزمة في ضمائر الاحرار في العالم .

وليس من صغير الامر أن يترك استاذ فرنسي كجانسون Jeanson كرسيه ، ليقود حركة تمرد على وحشية فرنسا، وينظم ايصال المتطوعين الفرنسيين الى الجزائر وتهريب الجنود الفرنسيين المرغمين على تأدية فريضة القتل والتمثيل والتعذيب في الجزائر .

لقد بدأ يشعر هؤلاء المفكرون الاحرار أن الفظائع التي يرتكبها المستعمرون الفرنسيون في الجزائر ، لا تهدد الجزائر وحدها ، ولا تهدد الانسانية كلها ، بل تهدد فرنسا نفسها ، فرنسا التي ترشحها اعمالها اللاخلقية في الجزائر الى أن تتردى في بلادها وتعاني أزمة خلقية كبرى بعد أن عودت أبناءها خلال سنوات كل معاني الفظاظة والخسة والهزء بالخلق والتنكر لكرامة الانسان. لقد حق للكتاب الذين نشروا الوثائق التي ضمها كتاب « مجندون يشهدون » ان يقولوا : « ان بعض الاساليب الاجرامية التي تتبع في الجزائر تؤلف عاملا خطيرا يؤدي الى فساد الجيش والبلاد قاطبة . ونحن نترك للقراء أن يتصوروا الى أي حد تكون المساعدة على هذه الجرائم الخلقية ، أو المساهمة الفعالة فيها ، سببا قويا لافساد نفوس جنودنا وضباطنا . بل ان التوازن الخلقي والنفسي لديهم لا بد أن يتعرض بسبب هذا لاخطار جسيمة. وهذا الفساد لا تقتصر أضراره على الجيش فحسب، بل يتسرب بالتدريج ليصيب البلاد كلها . فجرائم من هذا النوع تلطخ الضمير القومي وتعرض المجهودات التي تبذل لتكوين شبيبة بلادنا مدنيا وخلقيا ، لأسوأ مصير » .

نعم ، ان ما يرتكب في الجزائر من أهوال ، تهديد لكل انسان ، وتهديد لمصير الانسانية ولا يجوز لاي فرد

(١) ارجع الى كتاب « مجندون يشهدون » .

«الآداب» تقدم :

عددها السنوي الممتاز

في مطلع العام الجديد ١٩٦١

وهو عدد خاص بـ

النقد الأدبي

دراسات معمقة عن النقد الادبي وعلم الجمال وحالة النقد في الوطن العربي وفي بلاد الغرب ، مع نماذج نقدية مختلفة .

عدد ممتاز تتابع به « الاداب » مشاركتها في تطوير المفاهيم الادبية ورفع مستواها في النتاج العربي المعاصر ..

يسهم فيه كبار النقاد والدارسين في مختلف الاقطار العربية .

احجز نسختك منذ الان .

يحمل لقب الانسان ، ويحرص على حضارته وقيمه ، ان يسكت على هذا الانتهاك الصريح لوجوده ، عن طريق انتهاك وجود أبناء الجزائر ، بل لا يجوز له الا أن يسهم في الانتصار للجزائريين ، بكل ما يملك من وسائل مباشرة أو غير مباشرة .

ان الطفل الذي يصرخ وسط جنود فرنسيين يعذبونه بالكهرباء والماء ، ليس طفلا جزائريا في أقصى الارض ، وانما هو الطفل الانساني ، طفلي وطفلك وطفل كل انسان .

وان الشيخ الذي جاوز الثمانين والذي يلقى انواع العذاب ويقتل ابنه امام عينيه ، هو الشيخوخة الانسانية البائسة التعيسة ، هو اتهام لوحشية الانسان وسكوت الانسان على الوحشية .

وان المرأة التي تعرّى لتتجول الكهرباء في ما ظهر وخفي من جسدها ، رمز لاضطهاد مقدسات الانسان ولانتهاك ميثاق الامم المتحدة واتفاق جنيف الذي ينص في البند السابع والعشرين منه خاصة على حماية النساء من كل اعتداء على شرفهن وحيائهن .

وبعد ، هل أسوق حديثا تقشعر له الابدان ، وتأباه النفوس الحساسة ؟ هل أقدم صورا من مشاهد التعذيب التي نقل معظمها فرنسيون شهدوها بأعينهم ؟ هل أذكر طرفا من العذاب الذي لقيته جميلة بو حيرد ، أو نماذج من فنون الاهوال التي تعرض لها الفرنسي « أليغ Alleg ووصفها في كتابه « الاستجواب » (١) ؟ أم هل أروي قصصا عن السجون الجهنمية التي تتكدس فيها الاكوام البشرية ، أو عن المعتقلات التي يأوي اليها من يدعونهم بالمشبوهين ، ويلقون من العذاب فنونا ؟ وهل أحدثكم عن الاعدام بالجملة واحراق القرى وقتل الابرياء ، والانتقام من أي انسان عند قتل جندي فرنسي ؟

لا بد ان أوفر على القارىء تلك الرؤى المفزعة . وأجتزىء من هذا كله بأن أنقل عن الكاتب الجزائري « حفيد كرمان » في كتابه « التهدئة » ، خلاصة عن وسائل التعذيب التي تصطنع في استجواب المقبوض عليهم من العرب . وكم أشعر بالامتعاض عندما يبلغ الهول بهذه الوسائل حدا يجعلني ألجأ الى تصنيفها في طرائق ، والى البحث فيها كما يبحث العالم في الطرائق المتبعة في دراسة علمية :

ترتد هذه الاساليب الوحشية الى أساليب خمسة كبرى :

١ ــ اولها الكهرباء . ومن مزاياها ان آثارها تزول بعد فترة قصيرة وتساعد بهذا على طمس معالم التعذيب أمام الرأي العام . وتجري غالبا في الليل ، لئلا يسمع الناس في الخارج صراخ المعذبين وعويلهم .

وفيها يعرى المعذب ويلقى على منضدة تعرف باسم « منضدة العمليات » . وتوثق يداه ورجلاه ، ويلقى الماء

(١) ترجمة سهيل وعائدة ادريس ، نشر دار الاداب .

على جسده ليسهل انتشار التيار فيه كله . ثم يؤخذ بوضع التيار الكهربائي على النقاط الحساسة من الشخص المعذب ، رجلا كان أم امرأة : كالاذنين واللسان والاعضاء التناسلية والثديين. وهنالك ألوان وأشكال لهذا الاسلوب من التعذيب ، نضرب صفحا عن ذكرها لهولها وشناعتها.

٢ ــ والاسلوب الثاني أسلوب الماء : وهو يتم غالبا على أشكال ثلاثة من أكثرها شيوعا : حقن الماء عن طريق الفم ، بحيث تمتلىء المعدة بالماء وتتضخم . وبعد أن ينتفخ البطن يلقي أحد المتطوعين بجسده عليه ، فينطلق الماء من الفم وغيره ، وتعاد العملية مرارا بغية الحصول على اعتراف المعذب .

٣ ــ والاسلوب الثالث اسلوب النار : وفيه يعرى المعذب ويجلس على كرسي ويوثق به ، ويبدأ المستجوب بأن يلقي دخان السجاير على عينيه ، ثم يأخذ باطفاء السجاير على صدره أو ثدييه . وفي اكثر الاحيان يبلل جسده بالبنزين ويضع عليه النار . وكثيرا ما يؤدي هذا النوع من التعذيب الى حروق من الدرجة الثانية بل ما فوقها . مما يضطر الجلادين الى معالجة ضحايا هذا النوع من التعذيب الى حروق من الدرجة الثانية بل ما أخرى تربط اليدان خلف الظهر وتوضع عيدان الكبريت المشتعلة على نهاية الاصابع الى ان تحترق الاظافر . وقد توضع تحت القدمين شمعة تحترق ، الى أن تنطفىء .

٤ ــ والاسلوب الرابع اسلوب الحديد : وفيه يعرى المعذب ويوضع على كرسي . ويبدأ الجلاد بأن يعض ظهره وثدييه وشفتيه بكماشة في يده . وفي بعض الاحيان يقتطع بالكماشة قطعا من جسده . وقد توضع يدا الضحية على الارض ويبدأ الجلاد بالطرق عليها بالخناجر أو الفؤوس .

٥ ــ والاسلوب الخامس هو اسلوب الحبل . وله صور وأشكال . منها ان توثق يدا الضحية مع رجليه على شكل خروف ربطت أرجله الاربع . ثم يرفع الى السقف بوساطة بكرة ، ورأسه وظهره متجهان الى الارض ، ثم يرمى به فجأة على الارض. وتعاد التجربة مرارا وتكرارا. ومنها أن يربط الضحية ربطا وثيقا بكرسي ، وان يعقد حبل على عنقه ، يشده جلادان من طرفين شيئا بعد شيء ، حتى الاختناق او الموت .

وبعد ، معذرة ان وقفت عند هذه التفصيلات البشعة . غير ان ما نحياه نحن باللفظ أو الخيال يحياه اخواننا الجزائريون بأجسادهم وأرواحهم . وما أحسبنا الا ونشعر بعمق المأساة الانسانية عندما نذكر طرفا من الوسائل التي يتعرض لها العديد من اخواننا العرب هناك.

ما نحسبنا الا متهمين لانفسنا وللانسانية عندما نسمع بهذه الاهوال ، ونسمع أن حصاد ما يدعوه الفرنسيون بالتهدئة يتلخص في الامور التالية : « ثمانمائة ألف جزائري قتيل ، ومائتا ألف جزائري في السجون ومعسكرات الاعتقال ، ومليون جزائري في المراكز التي تسمى بمراكز التجميع ، وحوالي ثلاثمائة ألف لاجىء جزائري في تونس ومراكش ، والبقية الباقية من الشعب بلا حماية ولا أمن تحت رحمة الجند الفرنسيين » .

ان قضية الجزائر ليست بالنسبة الينا قضية قومية فحسب ، وانما هي ايضا قضية انسانية عميقة . ان انتصارنا لها لا يقف عند حدود الانتصار لجزء من الامة العربية ضرب مثلا رائعا عن البطولة العربية وخلد العروبة الى الابد ، بل يتجاوز هذا الى الانتصار لقضية الانسان وكرامته .

وههنا يحق لنا أن نقف قليلا لنسائل : ماذا قدم كل واحد منا لقضية الجزائر ، وكيف يستطيع ان يرد عن نفسه التهمة الضخمة ؟ ما هو الموقف الذي دفعته اليه قوميته وانسانيته ، ليسهم بقدر ما يستطيع في تخفيف أهوال تلك المجزرة الانسانية الكبرى ، وليكون جنديا مخلصا لقضية القومية وانسانا مخلصا لشعوره الانساني ؟ وهل قدم الكثير منا مثل ما قدمه عدد من الفرنسيين الاحرار أنفسهم ، أو ما قدمه الكثير من الاحرار في العالم ؟

ان جوابنا على هذا التساؤل هو الذي يحدد نهائيا مبلغ ايماننا بأمتنا وقضيتنا العربية وخطنا من الشعور الانساني ومن التحسس بالقيم الانسانية .

دمشق — **عبد الله عبد الدائم**

شعر

من منشورات دار الاداب

قرارة الموجة	نازك الملائكة
وجدتها	فدوى طوقان
وحدي مع الايام	فدوى طوقان
العودة من النبع الحالم	سلمى الجيوسي
عيناك مهرجان	شفيق معلوف
قصائد عربية	سليمان العيسى
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي

دار الاداب

بيروت ــ ص.ب ٤١٢٣